تفريغ محاضرة

السميع العليم

رواء الاثنين | د.هند القحطاني

١٤٤٣/٧/١٣ هـ

السميع العليم

نحن نؤمن يقينا أن الله جل جلاله استوى على العرش، وكذلك نؤمن يقينا أن الله عز وجل يسمعنا ولا تخفى عنه منا خافية، ولا دعوة من الدعوات عنده تضيع! قال تعالى:" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (المجادلة :1)

جميع الخواطر عند الله مكشوفة؛ بكل ضعفك وانكساراتك! بكل ما يجول في خاطرك.. أنت مكشوف عند الله عز وجل، وصوتك الذي تظن أن لا أحد يسمعه هو مسموع عند الله عز وجل، ودعاؤك الذي ظننت أن لا أحد يستجيب له هو مسموع مجاب عند الله عز وجل، فما من خاطر ولا خلجة نفس تظن أنه ضاع في الأثير إلا وهو مسجل عند الله عز وجل.

بما أننا نؤمن بذلك يقينًا، يجب علينا أيضًا أن نؤمن أن الابتلاء الذي يبتلي الله عزوجل به بعض عباده ما هو إلا ليستخرج منهم العبادة له، فالدعوات التي لا تخرج إلا في لحظات الكرب، والتوحيد الذي لا يأتي الا في اللحظة التي تظن أن جميع أبواب السماوات قد أُغلقت دونك وأنه لا مناص من أمر تخافه سيقع، إذا ما كشف الله عز وجل كربك، قال تعالى: "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" (ق :16)

حبل الوريد: هو العرق الكبير الموجود في رقبتك ويصل إلى القلب، يقول الله عز وجل أنه أقرب إلينا منه! لذلك قال الله عزوجل مثنيا على نفسه في قوله تعالى: "و هو السميع العليم " (البقرة:١٣٧)

اسم الله عز وجل السميع قد ورد في القرآن أكثر من 45 مرة، هذا الاسم يحمل صفة السمع الذي يحيط بالعالم كله، أصوات العالم العلوي بما فيهم الملائكة و دعواتهم و تسبيحهم وقد أحاط الله عز وجل بجميع أصوات العالم السفلي بما فيهم من الإنس والجن والحيوان وجميع المخلوقات،

بل ويعلم ما يفعله البشر سواء سرًا أو جهرًا، قال تعالى:" سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ" (الرعد :10) إذن ذلك الذي يستخفي بالليل ويظن أن لا أحد يسمعه وهو متخفٍ، أو ذلك السارب بالنهار الذي ضاع بالزحام، أو من أسرّ القول أو جهر به، كلهم عند الله سواء!

قالت عائشة -رضي الله عنها- وهي تحكي عن قصة خولة بنت حكيم حينما سمعها الله عزوجل قالت سبحان من وسع سمعه الأصوات كنت مع خولة بنت حكيم في غرفة واحدة، وخولة جاءت إلى النبي ﷺ وهو في بيت عائشة رضي الله عنها فلما جاءها صارت خولة تشتكي له من زوجها وهذه الشكوى كانت تخفيها فلا تريد أن يسمعها أحد، وعائشة في نفس الغرفة- لا تتجاوز مترين ونصف بمترين ونصف- مع ذلك تقول عائشة أنها كانت تتكلم يخفى علي كلامها! فلما نزلت الآيات في قوله تعالى:" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ" (المجادلة:١) من فوق سبع سماوات أن الله قد سمع صوتها أكبرتها عائشة! فقالت: سبحان من وسع سمعه الأصوات إني والمجادلة في بيت واحد في مكان واحد ولم أسمع ما تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم!

سمع الله عز وجل يأتي بمعنين:

المعنى الأول: العلم والإحاطة،" قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ" أي أن: الله قد أحاط بها، ووصلت إليه وعلم مرادها.

المعنى الثاني: إجابة الدعاء، قال تعالى:" إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" (إبراهيم:٣٩) أي: مجيب الدعاء، فمن صفات الله عز وجل وصفات سمعه أن السمع على وجه الإجابة.

جاء في الصحيح أن النبي ﷺ سمع صحابته يدعون الله بصوت عالٍ في وقت العمرة والحج، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم:" يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون لا صمًا ولا غائبًا، ولكن تدعون سميعًا بصيرًا"

جاء موسى عليه السلام وناجى ربه بمخاوفه حينما ذهب إلى فرعون لعله يتذكر أو يخشى، فموسى يعلم من هو فرعون فقال:" إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى" (طه:٤٥) فقال الله تعالى:" قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى" (طه:٤٦) كيف تخشى من لحظة ضر وشر وكيف تخشى الضيعة والله عز وجل معك؟ لما نؤمن يقينًا أن الله لن يضيعك ولن يتركك فلا مجال للخوف أن يسري إلى قلبك؛ لذلك لا تأتي عليك لحظة تصدمك الحوادث فتفزعك.

العلماء كانوا يقولون دومًا: **لا تشكِ من يرحمك إلى من لا يرحمك**. إن الله سيتولاك برحمته بمجرد دعاء منك إليه، فالله عز وجل يدبر الأمر من غير اختيار منك، كما أن الله عز وجل يحب من عبده أن يشتكي إليه، ويحب إلحاحك ويحب رجوعك إليه في كل مرة.

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ..."[أخرجه البخاري، صحيح]

فلما ينزل بك البلاء، وتعود إليه، ثم يشتد البلاء ثم تعود إليه، ثم يشتد البلاء فتعود إليه، فكأنما أنت في كل مرة تظن بالله خيرًا يؤتيك الله عز وجل ذلك الخير، فقد علمت أن الله سيعطيك، فلو علمت أن الله عز وجل سيعطيك، إذًا الله عز وجل سيعطيك.

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: " إِنَّ عَبْدًا أَصَابَ ذَنْبًا - وَرُبَّمَا قَالَ أَذْنَبَ ذَنْبًا - فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ - وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ - فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ..."[أخرجه البخاري، صحيح]

إن الله عز وجل يعلم أنك أنت تعلم أنه هو الحكيم وهو المدبر وهو السميع العليم، فحتى لو طال البلاء، حتى لو طالت فترة الامتحان، وأنت واقفٌ عند بابه، فبذلك لا يتعلق القلب إلا بالله عز وجل.

عندما يعلم ويفهم العبد هذا الكلام يبدأ يلتفت إلى كلماته وإلى علاقته مع الله عز وجل، ويبحث عن دعائه ويتعلم كيف يتحدث مع الله عز وجل.

عيسى عليه السلام حينما سأله الحواريون قالوا: أيستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ فقال عيسى: اتقوا الله إن كنتم مؤمنين.

قال تعالى: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ" (المائدة:112)

أي: هل تستطيع أن تدعو فيجيبك الله عز وجل على دعائك؟ فهم يختبرون سمع الله عز وجل، أي أنه هل سيجيبك أم لا؟

فقال عيسى عليه السلام: اللهم ربّنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدًا لأولنا وآخرنا وآية منك. دعا الله عز وجل باللهم وربّنا، ليس فقط الله ربنا بل ودعا بالربوبية، ثم قال: عيداً لأولنا وآخرنا أي أن تكون مناسبة نشكرك عليها ويأكل منها صغيرنا وكبيرنا وأولنا وآخرنا وتكون آية منك أي رزق منك وارزقنا وأنت خير الرازقين.

نوح عليه السلام لمّا وعده الله عز وجل أنه سينجيه من السفينة هو وأهله، فواحد من أهله لم ينجُ، وهذه قصة ابنه المعروفة، قال سآوي إلى جبلٍ يعصمني من الماء، فبعد ما نجى جميع أهله وما بقي إلا هذا الولد، نادى نوحٌ ربّه، فقال: يا ربّي إن ابني من أهلي، وإن وعدك الحق، يا ربِّ أنت وعدتني أن لا أحد ينقص من أهلي وأبنائي.

فماذا ردّ الله عز وجل عليه؟ قال إنه ليس من أهلك، ولو كان من صلبك، ولو كان من لحمك ودمك، أهلك الذين ينجون هم الذين آمنوا بك، وهذا الوعد الحق، فلا تسألني ما ليس لك به علم، إني أعظك أن تكون من الجاهلين.

مباشرة قال نوح: ربّي أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين. لاحظ هذا الأدب مع الله عز وجل، فهم يعرفون أنه لا علم لهم.

إذن مهم أن يلتفت المؤمن إلى اسم الله السميع من زاويتين:

- من زاوية الحديث، الحديث الذي نتحدث به مع بعضنا البعض.
- من زاوية الدعاء، الحديث الذي نتحدث مع الله عز وجل به فنناجيه به نلخصها في ثلاثة أسئلة لابد معرفتها:

1- ماذا ندعو؟

بشيئين مهمّين: خيرُ الدنيا والآخرة، ولو جمع لك خيري الدنيا والآخرة فقد كسبت الحسنيين، **ولكن ما الأهم وما المقدّم في دعائك؟ المفترض الآخرة**، فإذن دائمًا قدّم الدعوات الأهم.

ولذلك الثلاثة حينما رتبها النبي ﷺ قال: "اللهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، ..." [أخرجه مسلم، صحيح]؛ لأن مبتدأ الأمر هو في الدين ثم قال: "...، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي

الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ"[أخرجه مسلم، صحيح]
فبدأ بالدين وانتهى بالآخرة وجعل الدنيا بينهما، وهذا من أدب الدعاء مع الله عز وجل.

٢- متى ندعو؟

ندعو في كل مواطن الاستجابة التي ذكرناها سابقًا، وقلنا إن النبي صلى الله عليه وسلم حث على أوقات معينة على الدعاء سواء في ثلث الليل الآخر، أو ساعة العصر في يوم الجمعة قبل المغرب، بالإضافة إلى كل ما نعرف ما بين الأذان والإقامة وقت المطر، المسافر، الصائم عند فطره، والوالدين لأولادهم، وفي الأماكن المباركة، مثل: المساجد والحرم وغيرها.

ينزل الله إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل، فيقول في الحديث القدسي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ، أَوْ ثُلُثَاهُ، يَنْزِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ" "[أخرجه مسلم، صحيح]

<u>كيف نحسب الثلث الأخير؟</u> أحسب عدد الساعات من صلاة المغرب إلى صلاة الفجر ثم أقسمها على 3، فآخر ثلث منها هو الليل الآخر.

٣-كيف ندعو؟

1- **الثناء على الله**، هناك الكثير من يغفل عن هذا ويستعجل فيه لأنه يريد الدخول في الدعاء، حتى لو كنت مبتلى فيما لا تطيق، فلا تنسَ أن تحمد الله عز وجل على كل لحظة وكل نعمة أنعمها الله عز وجل، وادعُ الله عز وجل بكل تلك اللحظات التي كان الله فيها معك، فلا يكفر الإنسان نعم الله عز وجل في لحظة ضر أصابته، كما يجب عليك أن تصلي على النبي ﷺ.

2- **وضعية الدعاء**، أن تستقبل القبلة في دعائك وأن تطبق ما ورد عن النبي ﷺ في وصفه لوضعية الدعاء، فشعورك وأنت ترفع يدك لله بكامل الافتقار والذل والمسكنة فهذه من المواطن التي تتحرى فيها الإجابة.
الشيخ أبو بكر الجزائري قال: فإذا دعوت الله فاضمم يديك على هيئة المتسول الذي يريد أن يستنزل النعمة، والذي يتسول فيها الرحمات، فأنت تعلم أن الله لن يردهما صفرا، بالشيء الذي أردته أو كفر عنك أو رد عنك أو حفظها لك، فهاتان اليدان اللتان ارتفعتا لله عز وجل لن يردهما صفرا.
ومن الوضعيات الأخرى التي ذُكرت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت في غزوة بدر، فكان إذا دعا جعل يديه حذو منكبيه وإذا اشتد به الدعاء رفعها إلى محاذاة رأسه وإذا اشتد به الدعاء أكثر رفع يديه إلى أن يُرى بياض إبطيه، وقال أبو بكر رضي الله عنه حتى سقط رداؤه.

3- **التأني في الدعاء**، قال النبي ﷺ: " يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي "[أخرجه البخاري، صحيح]

من موانع الدعاء أنك تستعجل، إجابة الدعاء لها حكمة وزمن.

أيوب عليه السلام صبر في بلائه ما يقارب ثمانية عشر سنة وهو طريح الفراش لمرض أصاب جلده، حتى أنه كانت تخرج من جسده الدود حتى قلاه الناس، حتى قال الناس أن أيوب أذنب ذنبًا فلا يستجيب الله له. فدعا يومًا فقال: "ربي إني مسني الضر وانت أرحم الراحمين" (الأنبياء:٨٣) فاستجاب له الله ورفع عنه. إذن يجيب الله الدعاء ما لم يستعجل العبد، فالتفت إلى قلبك في لحظات الدعاء، ولا تمل ولا تكل.

4- **العزم في الدعاء**، قال النبي ﷺ:" لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ"[أخرجه البخاري، صحيح]

لا تقل في الدعاء يا رب ارزقني إن شئت! إذا كنت تريد هذا الشيء ألح في الدعاء؛ فالشعور الذي بداخلك أنك تدعو الله وتظن أن الله لن يستجيب دعاءك هذا من أسباب عدم استجابة الدعاء!

لذلك في سؤال عند العلماء في موضوع الدعاء: ماذا لو سأل الإنسان الله عز وجل فيما هو أكبر منه؟ مثلًا طلبت الله الفردوس الأعلى وأنا أعلم أن حياتي التي أعيشها لن توصلني إلى الفردوس، فهل أطلب الله ذلك؟ نعم، النبي قال: " إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُلْ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ "[أخرجه مسلم، صحيح] ويقول: فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ"[أخرجه البخاري، صحيح]

في بعض الأحيان قد يفتح الله عليك الدعاء في أمر ما ثم لا يعطيك إياه، وتلح في الدعاء وفي المقابل تجد أن الله فتح ويسر لك بابًا آخر، فماذا تفعل؟ هل تستلم؟ لا، وإنما تدعو الله أن يوفقك ويبارك لك فيما رزقك. وهذا من فقه المعاملة مع الله عزوجل، فهناك رزق معين لم يعطِك الله إياه فكأن الله فتح لك بغيره، إذن ادعُ الله أن يبارك لك فيه.

5- **احفظ لسانك**، فالله يسمع كلامنا حتى وإن كان خفيًا، قال النبي ﷺ: " لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ، ..." [أخرجه أحمد في مسنده، وقال ألباني: حسن]

فلتات اللسان مؤشر على الإيمان الداخلي، فلا يستقيم إيمانك إلا باستقامة قلبك الذي تغرف منه الكلمات، ولا يستقيم قلبك حتى يستقيم لسانك، فلن تجد إنساناً قلبه ممتلئ إيمانًا وفلتات لسانه: كذب، غيبة، نميمة، استهزاء، سخرية، اليمين الغموس، البهتان، السباب، فضيحة المسلم، إفشاء السر، كلام ذي الوجهين، الهمز، اللمز التخبيب، فهذه من أعظم الأشياء التي يجب أن تُجاهد نفسك عليها.

لذلك عندما جاء الثقفي رضي الله عنه للنبي ﷺ قال: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال: " قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ"[أخرجه مسلم، صحيح] وفي آخر الحديث سأله الصحابي فقال يا رسول الله ماذا أتقي؟ فأومأ الرسول ﷺ إلى لسانه، فذكر الله في صفات المؤمنين قال تعالى: "الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ*وَالَّذِينَ هُم عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ"(المؤمنون: 2-3)

سأل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الجنة قال: "تَقْوَى اللَّهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ"[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن]

وَسُئِلَ مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّارَ؟ قَالَ: " الْأَجْوَفَانِ: الْفَمُ، وَالْفَرْجُ " [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: حسن]

ختامًا.. ما هي الأمور التي يجب على الإنسان أن يحذر منها عند اسم الله السميع:

1- أن تتكلم فيما لا يعنيك، تكتب فيما يعنيك، تعلق فيما لا يعنيك، قال النبي ﷺ:"مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَالاَ يَعْنِيهِ"[أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح]

ذكر ابن رجب مجموعة من أقوال السلف حينما ذكر هذا الحديث، يقول أحدهم:

جاهدت نفسي في جميع أنواع العبادات فلانت لي العبادات، ثم جاهدتها في ترك ما لا يعنيني ما لانت.

قال الله عز وجل: "لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ" (النساء: 114)

قال ابن عباس رضي الله عنه: خمس هن أحب إلي من أن أتصدق بأنعام موقوفة، منها: لا تتكلم فيما لا يعنيك فإنه فضل لا آمن عليه الوزر. أي: كلام زائد لا آمن عليه فيما سيجلبه لك من الوزر إذا تكلمت فيما لا يعنيك.

2- الخوض بالباطل، لما عدد الله عز وجل صفات أهل النار، قال تعالى: "وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ" (المدثر: 40) مما يجب على الإنسان أن ينتبه لما يتحدثه مع الآخرين، سواء في الواقع الافتراضي أو الحقيقي، فلا يجعل حديثه هو ما يفرضه المجتمع عليه، ولا يخوض فيما لا ينفع ولا يرفع من شأنه وشأن أمته، والحديث الدائم عن أهل المعصية يقسي القلب وقد يفتح للشيطان بابًا كان مغلقا، فبذكرك واستنكارك لأمرٍ ما بين الآخرين، قد يزين الشيطان لأحدهم ويفتح له بابًا من الشر كان مغلقًا.

3- الجدال والمرار، قال النبي ﷺ: "مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ"[أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن]، ثُمَّ تَلَا النبي ﷺ هذه الآيَةَ: "مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" (الزخرف: 58) الناس لا تضل بعد هدى إلا وهم يجادلون في الشر؛ لأنه لا يريد أن يفعل الشر لوحده، فيريدك أن تفعل الشر معه، قال النبي ﷺ: "وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"[أخرجه البخاري، صحيح] وقال الله عز وجل: "وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ"(غافر: 5)

4- الخصومة والفجر بها، إن حصل سوء فهم مع من حولك، حاول أن تنهي الموقف بأكبر قدر من الهدوء.

سورة ص دائما تعلمك كيف ترجع إلى ربك في خصومتك، عندما اختصموا عند داوود عليه السلام، فقال الله تعالى عن داوود: "وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ"(ص:24)

بهذه الخصومة يقول النبي صلى الله عليه وسلم عن صفات المنافقين: وإذا خاصم فجر. ويقول أيضا النبي ﷺ: "إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم "() الألد، أي: الغليظ القاسي، الخصم، أي: من يغلبك دومًا سواء في حق أو في باطل.

كان السلف يقولون: **اتقِ الخصوم فإنها تمحق الدين**. الإنسان كلما خصم فجر؛ لأن لحظة واحدة تهدم أشياء كثيرة فعلتها في حياتك، ولذلك جزاء كظم الغيظ عظيم، ينادي بها الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة، ويعطيه ويخيره من نعيم الجنة ما يشاء، لأنه كظم غيظه لأجل الله.

5- التقعر في الكلام، أي: من يتكلم بطبقة من الاستعلاء، "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ أَسْوَؤُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُتَشَدِّقُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ الثَّرْثَارُونَ"[أخرجه ابن حبان في صحيحه، وقال الألباني: صحيح لغيره] الثرثار: من يتحدث كثيرًا دون سكوت، المتشدقون المتفقهون: من يتكلم لأجل أن يتظاهر بالمعرفة أمام الآخرين.

6- الفحش والسباب وبذاءة اللسان، قال النبي ﷺ:"سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ.."[أخرجه البخاري، صحيح] ويقول: "لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ، وَلَا اللَّعَانِ، وَلَا الْفَاحِشِ، وَلَا الْبَذِيءِ"[أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح] كيف تحمي نفسك من السب المنتشر بين الناس؟ بأن تحمي نفسك بعدم قولها، ولا تعلمها أولادك، وتنصح من يسب بعدم فعل ذلك.

7- اللعن، وهو الطرد من رحمة الله، واللعن للأسف منتشر بين الشباب كثيرًا، مع أن النبي ﷺ قال: "لا تَلَاعَنُوا بِلَعْنَةِ اللَّهِ، وَلَا بِغَضَبِ اللَّهِ، وَلَا بِالنَّارِ"[أخرجه أبو داد في سننه، وقال الألباني: حسن]، قال حُذيفة رضي الله عنه: ": مَا تَلَاعَنَ قَوْمٌ قَطُّ إِلَّا حُقَّ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَةُ"[أخرجه البخاري في الأدب، وقال الألباني: صحيح]

8- السخرية والاستهزاء والمزاح بلا سبب، قال النبي ﷺ:": "لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ" [أخرجه ابن ماجه في سننه، وقال الألباني: صحيح] وقال كذلك:" "وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ" [أخرجه الترمذي في سننه، وقال الألباني: حسن]

قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ "(الحجرات: 11)

قال المفسرون: أن يسخر رجل بامرأة أو أن تسخر امرأة برجل، أو امرأة تتلفظ على رجل، في خارج النقاش، أي خارج حدود الأدب، أن يكون هناك نوع من السخرية بين الجنسين، لأن الأصل ألا يكون ذلك بينهم، فجاءت الآية في النهي في الجنس الواحد، لا يسخر الرجال من الرجال ولا النساء من النساء.

9- الكذب، قال النبي ﷺ:" وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللَّهِ كَذَّابًا"[أخرجه البخاري، صحيح]

فتخيل أن هناك من يكذب لأجل الناس، ويعيد ويكرر في نفس الكذبة، وقد يتوارثها أجيال من بعده، وهي كذب! فكم من الأوزار المتتالية على هذا الشخص؟ وكما قال إن الكذب يهدي إلى الفجور، وآية المنافق أنه إذا حدّث كذب.

10-الغيبة، قال تعالى: "وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا"(الحجرات: 12) وقال النبيﷺ: "أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟" قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ"[أخرجه مسلم، صحيح]

11-النمام والقتات، وهو الذي قال تعالى: "هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ" (القلم :11) هو الذي ينقل الكلام بين الآخرين.

الإنسان يتعبد الله عز وجل باسمه السميع، وهذا الذي نادى به زكريا ربه نداءً خفيا، وظن أن لا أحد يسمع هذا النداء إلا الله عز وجل فيجيبه الله ويعطيه يحيى على حاجةٍ من زكريا حينما قال: "رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ" (الأنبياء: 89)

إبراهيم عليه السلام كان جلُّ دعائه الذي دعاه -وهو خليل الرحمن- باسم الله السميع، لما انتهى من بناء الكعبة هو وإسماعيل، قال الله تعالى: "رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (البقرة :127)

وقاله أيضًا في تمام المنة والنعمة حينما رزقه الله بإسحاق وإسماعيل، قال الله تعالى: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ" (إبراهيم: 39)

فلاحظ شعور إبراهيم بمنة الله عز وجل عليه أن رزقه على الكبر إسماعيل وإسحاق، وأن دعواته لم تذهب سُدىً.

كذلك امرأة عمران لما نذرت ما في بطنها -مريم عليها السلام- إلى الله عز وجل، قالت في نهاية هذا الدعاء، قال الله تعالى: "رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۖ إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (آل عمران 35)

هؤلاء الصالحون كيف يدعون بهذا الاسم؟ يدعون الله بصفته، يا ربِّ أنت تسمعنا فأجب دعاءنا ويرجون بسمعهم سمع الإجابة.

كذلك يوسف عليه السلام لما أحاطت فيه النساء بتلك الموقف في ذلك المجلس وأرادوه على الشر، قال الله تعالى: "قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ *فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (يوسف: 33-34) سمع دعاءه في لحظة الكرب.

ويونس عليه السلام في غياهب الحوت في نص الظلام في منتصف البحر، قال الله تعالى: "فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (الأنبياء: 87) فسمعه الله السميع.

وإذا أحاط بك الجن وتناوشك يمنة ويسرة وبدأوا يزينون لك الشر ويدخلون لك في الدين ويشككونك في أي باب من أبوابه ويتسلطون عليك في أي شيء من البلاءات، فأرشدنا الله عز وجل إلى ذلك، قال الله تعالى: "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (فصلت :36)

لاحظ أن الله يرجعك إليه دومًا، يقول أنا أسمعك، التجئ إليّ لأنجيك، أجاب دعوة الأنبياء والصالحين وأجابك حتى في هذه اللحظة في ابتلاء خفي.

اجتمع مجموعة من الرجال من قريش عند الكعبة يتكلمون بكلام عن المسلمين، ثم قالوا يقول أحدهم: أتظن أن الله يسمع ما نقول؟ فقال له صاحبه: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا،

فقال له الرجل: إن سمع ما جهرنا سمع ما أخفينا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه، قال الله تعالى: "وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ*وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ" (فصلت: 22)

كان النبي ﷺ يستعيذ بالسميع العليم في صلاة الليل فيقول: "أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ، وَنَفْخِهِ، وَنَفْثِهِ"[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح] ويجعل من أذكار الصباح والمساء أن ندعو بهذا الدعاء: : "مَنْ قَالَ بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ، فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ،

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ، حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثُ مَرَّاتٍ، لَمْ تُصِبْهُ فَجْأَةُ بَلَاءٍ حَتَّى يُمْسِيَ"[أخرجه أبو داود في سننه، وقال الألباني: صحيح] أي: البلاء الذي تخاف منه لن يصيبك إذا كنت تقرأ أذكارك في الصباح والمساء، فأنت تدعو باسم الله السميع العليم.

هذه فقط وقفات مع اسم الله عز وجل السميع العليم، ونسأل الله الذي يسمعنا أن يجعل سمعه رحمةً علينا.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك، واستر علينا بسترك واعفُ عنا بعفوك واغفر لنا ما تعلم ولا نعلم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

تنويه: مادة المحاضرة جمعت من مصادر عدة وجميع المحاضرات في المدونة ليست كتابة حرفية لما ورد في المحاضرة؛ إنما تمت إعادة صياغتها لتُناسب القرّاء وبما لا يُخلُّ بروح المحاضرة ومعانيها